

الاقتباس من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم في شعر السَّجُون لعبد الملك بن إدريس
الجزيري الأندلسي

The Citation of Hadith of the Holy Prophet in the Prisons Poetry of Abdul Malik bin Idrees Al-jazeri Al- Undalusi

* د. سيد سيارعلى ** د. سائره گل

Abstract

The sayings of Prophet Muhammad (SAW) have very great importance for Muslims, it is a second source of Islamic legislation. It is the source for the education of morality and knowledge of the legacy of the Prophet Muhammad (SAW) and logic in dealing with the circumstances of different conditions. One can say that it has great literary and historical importance too because it gives us the opportunity to reach a comprehensive view of human history. The Hadith has great impact on literature, like:

- ✓ - Impact on language
- ✓ - Impact on prose
- ✓ - Impact on poetry
- ✓ - Impact on calligraphy
- ✓ - Impact on creating new fields of knowledge
- ✓ - Introduction of new narrative style
- ✓ - Abolition of vulgar Literature.

In this paper it has been described that the beauties of Citation from Hadith in the prison`s poetry of famous Andalusian poet Abdul Malik bin Idrees Al-jazari Al-Undlusi .

Keywords: Prison`s poetry of Abdul Malik bin Idrees Aljazari, Citation, Hadith

* محاضر الدراسات الإسلامية جامعة صوابي، صوابي

** أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية بجامعة إسلامية كالج بشاور

التعارف

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الأندلسي، نشأ وبرز في العلم والأدب واشتهر في الجزيرة الخضراء بعلم العدد والحساب، ومع ذلك كان من الشعراء وهو من كتّاب المنصور بن أبي عامر، فتبوا منصباً كبيراً في الكتّاب، وصاحب ديوان الإنشاء في عهد حكومته.¹

سبب حبس الجزيري واعتقاله

قد سُجن الجزيري مرتين، مرةً في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر والثاني في عهد عبد الملك المظفر حتى قُتل في غياهب السّجن.²

أمّا سبب حبسه في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر هو الفخرو الغرور وهو كان يظنُّ نفسه أنّه صار يحتل المكانة العالية والرفيعة وأنَّ المنصور بن أبي عامر لا يستطيع أن يستغني عنه لإتته صار مقرباً عنده، و كاتبه ورئيس ديوان الإنشاء لديه، وكان يزري بغيره من الكتّاب، فغضب عليه المنصور أشدَّ غضباً، ونقم عليه نقمةً، فسجنه مدّةً في المطبق بالزاهرة، ثمَّ أبعده عن قرطبة و سُجن في قلعة مُهيبةٍ، وبعد مدّة رضي عنه وأطلق سراحه وأرجع إليه منصبه ووظيفته وما زال عنها حتى مات المنصور. وأمّا اعتقال الجزيري ليكون درساً نافعاً له، ومكافأةً للذنب الذي اقترفه، وقد استعطفه الجزيري بالشعر، ثمَّ صفح بعد عنه وأطلق سراحه وأخرج من السّجن ورد عليه ما كان اعتقل من ماله.³

قال صاحب الذخيرة عن سبب اعتقاله على يد عبد الملك المظفر وموجزها ما يلي:

قد ولّى المظفر بن أبي عامر أمور دولته عيسى بن سعيد القطّاع، فحسده رجالاً، منهم عبد الملك الجزيري، فدبّر المظفر للقبض عليهم، ونجح تدبيره وأمر بحبس الجزيري في مطبق الزاهرة، و انتهز عيسى بن القطّاع الفرصة، فكتب إلى مفرّج العامري وعبد الملك بن مسلمة وكانا من أعداء الجزيري، وحرّضهما على عاطفة ثأرتة، فأدخل عليه في معتقله رجال من السودان فخنقوه، و دفن سنة 394هـ.⁴

الاقتباس من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم باللغة العربية، ويستعمل الكلمات العذوبية، ذا أثرٍ بالغٍ في النفوس، حتّى عجب بها أهل الفصاحة، وعند الخطابة له أساليب منفردة، وطرق متميزة، ووصل أفكاره إلى أذهان النَّاس بسهولة الألفاظ وجزالتها، وكان لا يطلب وسائل الصنعة لكنّ عند الكلام كان يجمع كل الصفات الحلاّبة، ولا يستعمل الكلمات الغربية، ولا يملّ طبيعته

عند الاستفسار منه، ولا يتردد عند الحوار بالوفود الأجنبية، فلذا أخذ الأدباء والشعراء من كلام النبوة.

ونرى أثراً بالغاً وأمثلة كثيرة للإقتباس من أحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم في الشعر والنثر وخاصة في الشعر الزهدي، وهذا الأسلوب نجد في الشعر المخضرمي والإسلامي والعباسي والأندلسي وفي عصرنا الحديث.

وعبد الملك بن إدريس الجيزري قد اقتبس من القرآن الكريم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم في شعره السُّجون، قد بحثت عن اقتباسه من القرآن الكريم في مقالة كتب الباحث قبلها تحت الموضوع " أسلوب الاقتباس القرآني في شعر السُّجون لعبد الملك بن إدريس الجيزري الأندلسي" وهذه مقالة تشتمل بدراسة الاقتباس الجيزري في قصيدة التي كتبها وراء جدران السجن من الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم باقتباس نصي وإشاري، لكن عند إمعان النظر ظهر لنا أنه اقتبس من القرآن الكريم باقتباس نصي أكثر من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم باقتباسي إشاري، وتارة يأتي بنص الحديث لا سيما في نصائحه ومواعظه وحكمه، وهذه الأسلوب قد نجد في شعر الأندلسي كانوا الشعراء في غياهب السُّجون أو في حياة حرية.

شعر عبد الملك الجيزري في السجن والاعتقال

عبد الملك بن إدريس الجيزري كان من الشعراء الذين أنشدوا القصائد المطولات في حالة السجن والاعتقال، كما أنشد قصيدته الرائية خلف الأسوار والقضبان مشتملة على تسعة عشرة و مائتي أبيات.

ونلاحظه خلال شعره الاعتقالي رجلٌ حزين، يترعع في قلبه الوحشة والغم التي واجهه في الدار الدامس وفي غرفة المظلمة، ورجلٌ غمّس نفسه في الهموم، و غوّص في الأمور المؤلمة الموحشة المدهشة، وحنّ في حبّ الأولاد، وبكى على فقدان وظيفته ومزلته عند المنصور وعبد الملك المظفر، وهذه الآلام دفعت الشاعر إلى التعبير منها بقصيدته الطويلة التي ما وقفت على عشرين بيتاً أو خمسين بل انتهت على تسعة عشرة و مائتين من الأبيات المعبرَات عن أحوال الشاعر أو ما وقع عليه في السجن.

ونجد الشاعر أنه وصف بشعره سجنه ومعتقله و حصصه المظلمة، و برجه العالي والرفيع الذي يتكلم في الليل مع الكواكب، ويشير به إلى ارتفاع المعتقل ثمّ ميناره و برجه الرفيع، فحبس فيه إلى مدّة، واعتقله باعتقال العزلة والوحدة، وقيدته بالأغلال، لأياوي إليه إلا الغربان، وليس

هذا المعتقل ليسكن فيه الإنسان لئن عمارته خرابٌ، وهدمت بعض قوائمه وأعمدته، و يتكلم الشاعر بنجوم السماء، ومعتقله بعيد من الأرض لأجل الارتفاع، لكنّه ما يئس من فضل الله و رحمته لأنّه يُحرِّز القيود و يطلق سُروح المساجين.

تأثير السّجن على قيمه الخلقية المستنبطة من الأحاديث النبوية

قد استهلّ الشاعر قصيدته الطويلة ببيان ما أصابه من الهم والحزن، والمصيبة والمشقة، كما حُرّم زيارة أولادهم الصغار والكبار، فما زاد في قلبه إلا المألمة وإحساساً بفقدان أولاده وأهله، و أصدقائه الكرام، حتّى فقد الرغبة في الدنيا و حياتها الفانية، و ذهب سرور قلبه و ضاعت لذّة عيشه و حياته، فرجع إلى الزهد و الوعظ و النصيحة لأولاده، كما نجد شوقه الشديد، و لوعة حبّه لهم في حالة الفراق و الاعتقال، فنقل الشاعر المظلوم و المسجون إلى النصائح و الوعظ لأولاده كما كان لا يملك لهم في المعتقل و القيد إلا النصيحة باللسان و التربية الأبوية بالبيان، فأرشدهم إلى تحصيل العلم و الحرص عليه، و العمل بما جاء به رسول الرحمة و هادي الجنّة، و أخبرهم على أن لا فائدة و لا قيمة للعلم الّذى لا يُعمل به أو إذ لم يُؤد إلى عمل صالح.

و نجد الشاعر أنّه استمد معاني الشعر من الأحاديث النبوية على صاحبها ألف تحية وسلاماً، و يستشهد بها و تأثر منها بتأثير قويّ، لئن من يحبّ الوصول إلى أكرم المنازل و أشرفها و يريد الفوز في الدارين فعليه أن يعمل بأحاديث رسول الأنام و النبي الرحمة، كما ترك لنا القرآن و الحديث و هما طريقتان و منهجان إلى الجنّة. فلذا نصح الشاعر أولاده بأشعار المقتبسة و متضمنة معناها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و هذا على سبيل رقة قلب الشاعر بعد ما لحقه الألم و الفراق و العيش المرير خلف الأسوار.

تأثير الحديث في شعره السّجون

نيحت عن قبول أثر الشاعر من الأحاديث النبوية في شعره السّجون، نعي أنّ الشاعر كيف أخذ الأثر منها؟ هناك في عصر ملوك الطوائف أي العصر الّذى عاش فيه الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري صلات قوية لدرس و التدريس، و تعليم العلوم الدينية و العصرية، و حلقات الأحاديث في المساجد و المدارس، الأمراء و الوزراء كانوا يحيون أن يعلموا أولادهم الكتابة و الشعر و الأدب و التفسير و الحديث و الفقه و العلوم الأخرى، و هكذا بنى بعض الملوك المدارس الدينية في قصورهم العالية النفيسة، و كانوا يتعهّدون و يشرفون تلك المدارس، لكي لا يغفلوا و لا يهملوا منها، فلا

عجب أن الشاعر أيضاً حصل العلوم في تلك المدارس، كما أنه برز في علم الحساب و الرياضيّ و كان له دور هام في تنظيم مصلحة الحسابات و ديوان الإنشاء و فحص الدفاتر الماليّة و التشريفيّة. و عند إمعان النظر نلاحظ الشاعر أنّه دقّة التعبير في تقبيل المعنى من الحديث و القرآن، و عمق النظر بعلمها و فهمها، و سياق المعنى لمطلوبه منهما، و ثبت أنّ الوالد الكريم لا ينسى في محبسه و معتقله تربيّة الأولاد و فرضية الأبويّة حتّى أنشد قصيدة طويلة مشتملة على النصائح و الوعظ، مستمدّة باقتباس القرآن و الحديث.

صلة شعره السُّجون بالأدب الإسلامي

كما ذكرنا أنّ الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري تأثر من القرآن و الحديث، و له الهدف الخاص من قصيدته التي أنشده خلف قضبان السّجن، و هو يسعى إليه بكل جهد، و بكل دليل يأتي في ذهنه، و يستشهد من المصادر الإسلاميّة، و ما كان هدفه إلّا تربيّة أولاده بتربيّة إسلاميّة، و كان يخبر أهله بشعره السُّجون أنّ المجتمع الإسلامي لها سمات متميّزة عن المجتمعات الأخرى، و هذه السّمات تهمي إلى طاعة الله تعالى و رسوله المكرم، و ابتغاء مرضاته، و تجتنب الإنسان من عقابه و عذابه، فشاعرنا الجزيري ينصح أولاده باعتقالياته و يعظهم بسجنياته لكي لا ينسى أهله هذه السمات الإسلاميّة و لا يغفل عن العقود الأخلاقيّة، و يلتزم على الشرائع الدينيّة القانونيّة، و يعمل عملاً صالحاً، فهذا الهدف كان يترعرع في ذهن الشاعر فعبر عنه بشعره. فأقول في تحقيق المقام أنّ شعره يتعلق بالأدب الإسلامي كما ذكرنا أهداف شعره السُّجون و أغراضه، لأنّ كل من الأغراض و الأهداف تتعلق بتربيّة الأولاد بنشأة إسلاميّة، و أصوله الدينيّة، و شرائعه القانونيّة، فالأدب الإسلامي أيضاً يدعونا إلى هذه الأهداف و الأغراض تكون في أدبنا من النثر و الشعر.

قال أبو الحسن علي الندوي: "أنّ الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يصل به الإنسان إلى معرفة مظاهر الحياة اليوميّة، و إلى مجالات العمل، و يميّز بين اللائق بإنسانيّة الإنسان و غير اللائق بها، و لا يخرج من إطار إسلامي و يلزم إلى الفائدة و الهدف الخاص، و هو لكونه تعبيراً عن ظواهر الحياة الإسلاميّة"⁵ إنّ موضوعات الشاعر الجزيري التي استشهد بها في شعره السُّجون من الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم فنبحث منها بالعناوين التالية تسهيلاً للقارئين:

الترغيب في لزوم الجماعة الدّين النصيحة رؤية
الخالق في الجنان

قد اعتمد الجزيري على معاني الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم كثيراً في شعره السُّجُون، و يدلُّ على عمق علمه وفهمه وشغفه وفكره التربويَّة، وهو يريد نشأة أولاده بالنشأة الإسلامية، فالإصالح المعنى إلى قلوبهم في أحسن صورة من اللفظ يقتبس ويستشهد من الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم كما يقول:

وكذلك الدين النصيحة فابغها للمسلمين ولأنمة تُؤجر¹³

اقتبس الشاعر من هذا الحديث "الدين النصيحة" ثلاث مرارٍ، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولأنمة المسلمين وعاتمهم"¹⁴

أنَّ الشاعر الجزيري وعظ ونصح أولاده بأنَّ الدين نصيحة، فما المراد من النصيحة؟

قال الجوهري: نصح ينصح نصيحة ونصحاً، كلُّ شيءٍ نصح فقد خلص.¹⁵

هي كلمة معناها إرادة الخير للغير. فمعنى الحديث هو إرادة الخير للغير من شعب الإيمان فلا يكمل إيمان المرء إلاَّ بها.¹⁶

قد اقتبس الشاعر الجزيري في شطر الثاني من البيت، الجزء الثاني من الحديث المذكور " الدين النصيحة للمسلمين ولأنمة" المراد من الأنمة هم خلفاء المسلمين وأمراؤهم وولاتهم، والنصيحة لهم هي طاعتهم في الحقِّ ومعاونتهم عليه وأمرهم به، وتذكيرهم، لأنَّ الشاعر قد كان حصل تجربةً مريرةً في صورة الحبس والقيود والاعتقال والنكل، فنصح أولاده بطاعة الأمير واتباعه الوزراء في أمور الخير والاجتناب عن اختلافهم.

3- رؤية الرَّبِّ تبارك وتعالى في الجنان

أنَّ الشاعر الجزيري يكشف عن تفاؤله بهذه الشعر بذكر رؤية الرَّبِّ في الجنان ولعلَّه يظفر بما يرتجيه من العفو والصفح، وإطلاق سراحه والخروج من غياهب السِّجن كما قال:

والله يبدو في الجنان لأهلها فيرونه رأي العيان المظهر¹⁷

قد اقتبس الشاعر من حديث سيد المرسلين عليه السلام "إنَّكم ستعرضون على ربِّكم، فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"¹⁸

وفي الجنة ينادي منادٍ لأهل الجنة ويدعوهم إلى اللقاء فيكشف الحجاب. قال عليه السلام: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إليه"¹⁹

قال صاحب مرقاة وهو يروي عن الإمام النووي، " إنَّ رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، و أجمعوا العلماء على وقوعها في الآخرة، و أنَّ المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين".²⁰

زعمت المعتزلة والخوارج " أن سبحانه وتعالى لا يمكن لأحد أن يراه.²¹ أن قول المعتزلة والخوارج ما قالوه خطأ صريح لأن ورد النص الصريح في القرآن الكريم ويدل ذلك النص برؤية سبحانه وتعالى كما قال " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ"²² ثبت أن الشاعر الجزيري هو كان يعتقد إعتقاداً جازماً على رؤية الله تعالى في الجنة كما ننظر القمر ليلة البدر، وكما لا يرتاب المؤمنون فيه ولا يمترون.

و ظهر لنا أيضاً أن عقيدة الشاعر السجيني وافقت بعقيدة أهل السنة ورسخت و ثبتت في قلبه، وهو مطمئن بها. ومع ذلك أنه يرفض ويرد قول المعتزلة والخوارج بشعره ويستدل بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مقتبس منها وقوي بها معنى شعره لكي لا يبهم ولا يخفى عليهم الحق. والله يهدي لمن يشاء.

وفي شعره إمكان المعنى المجازي وهو حالة الحرية التي كان يعيش الشاعر قبل أيامه في السجن في بلاط المنصور بن أبي عامر، تحت ظل كرمه وبحياة الترف والنعم، وهو يأمل أن يطلق الأمير سراحه ويجعله من المقربين والحاشيين في بلاطه كما هو في الماضي، فيكون بلاط الأمير كمثل الجنة له وهو ينظر إليه كما يرون أصحاب الجنة والمقربين إلى ربهم. ونلاحظه خلال شعره أنه يستمد من الكلمات المرادفة

4- الحوض والشفاعة حق

عبد الملك بن إدريس الجزيري كان يذكر في شعره السجون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم و شفاعته لأتمته ويقول أتهما حق لا يُنكر ولا يُتمر فبهما بل إن المؤمنين يعتقدون ويأملون لشفاعة محمد النبي المختار، اللهم ارزقنا من شفاعته قال الشاعر:

والحوض حق و الشفاعة مثله لا يُشكران على امرئ لا يمتري²³

اقتبس الشاعر من جملة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تدل على صفة حوض الكوثر و شفاعة النبي منها:

و أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم " بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينته مسك أذفر"²⁴. قل صاحب مرقاة: قد أعطى الله للنبي الكريم حوضين، أحدهما في الموقف و ثانيهما في الجنة.²⁵ و الصحيح أن الحوض قبل الميزان، فإن الناس يُبعثون عطاشا من مرادهم فيقدم الحوض قبل الميزان.²⁶

وقال الشاعر " والشفاعة حقٌ " ، يقتبس من جملة أحاديث الشفاعة منها:

" أسعد النَّاسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه".²⁷
و عن عوف بن مالك الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتاني آتٍ من عند ربِّي، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعة، وهي لمن مات لا يُشرك بالله شيئاً".²⁸

قال ابن منظور: الشفاعة هو ضم الشيء إلى مثله ومنه الشفاعة وهو الانضمام إلى آخر ناصراً له و سائراً عنه.²⁹

أنَّ الشاعر الجزيري كما هو في سجن المنصور بن أبي عامر في غياهب السَّجن، فيشعر الحزن ويذكر الأولاد والأَيَّام الماضية. فأرسل هذه الرسالة الشعرية إلى ممدوحه ليستعطف بها، فزيتها بذكر الشفاعة ونعمة الحوض الكوثر لكي يرحم الأمير وينزل عليه رحمةً، ويُطلق سراحه ويخرجه من زنزانه السَّجن.

5- القضا والقدر

قال الشاعر الجزيري أنَّ الصعوبات والحوادث و صروف الدهر والميِّ والخير تأتي على الإنسان ما قضى الله له من خيرٍ أو شرٍّ، من العسر واليسر، ومن السُّرورِ أو من عذابٍ أليم، يقول:

من لم يذُقْ طعم بؤساءٍ وشدتها لم يدركْ لذةَ نعماءٍ ولا وجدا
ودون هذا الذي قالوه أفضيةً لله في حكمه لم يُؤتها أحدا
لا بُدَّ للقدر المقدر من أمٍ يلقالك فيه على حتمٍ وإن بعدا³⁰

اقتبس الشاعر المعاني من آية القرآن الكريم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم، فمن القرآن "وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا"³¹. فالشاعر يفضي أمره إلى الله تعالى أنَّ هذا كلُّه من جانب الله تعالى وهو خير الحاكمين. كما قال علي رضي الله عنه:

في الجبن عازٌّ وفي الإقدام مكرمة ومن يفرِّقن ينجو من القدر³²
مثل هذا قال الإمام الشافعي رحمة الله عليه:
وأرض الله واسعةٌ ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء
دع الأَيَّام تغدر كلَّ حين فما يُغني عن الموت الدَّواء³³
وقال يحيى بن حكيم الغزال:³⁴

فالق الزَّمان مهوناً لخطوبه وانجرَّ حيثُ يجُرُّك المقذور³⁵

أنشد الجزيري في رسالته الشعرية ويشير بأبياته إلى قضاء الله تعالى وقدره:

فلو ابتغيت لكلّ جهيدٍ نيل ما
سبق القضاء بمنعه لم تقدر
ولو اجتهدت لرفع ما يُؤتيكه
أتاكه إتيان مُزجى مجبر
تدبير مقتدرٍ تعالى قدره
أن يُبتغى من دونه بمدبّر³⁶

اقتبس الشاعر من حديث سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال: النبي صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن عبدٌ حتّى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه".³⁷

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى حياته الماضية المنعمة، وإلى أيامه في القيد والزنازة المظلمة، ومحنة السّجن ونكبته، وهذا كلّ ينسب إلى قضاء الله تعالى وقدره، ويرتكب أنّ حوادث الزمان ورفعته وخفضه، وعزته وخذله، التي كتب الله القادر المقتدر يأتي على الإنسان ابتلاءً أو عقاباً فليس له مانع بعقل وبتدبير وبجهيدٍ مسلسلٍ وهو فعّال لما يريد، فيقضي ويقدر بقدرته وهو على كلّ شيءٍ قدير. يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، بيده الخير.

6- لقاء النكير والمنكر في القبر

إذا مات الإنسان ويدفن في قبره فيأتي إليه ملكان، المنكر والنكير، يستلان منه، عن ربّه ونبيه ودينه، فإذا هو المؤمن فيجيب، الله ربّه ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيه والإسلام دينه، وبالعكس فهو الخسران الميّن. اللهم ثبت قلوبنا وألستنا على توحيد الله تعالى وبرسالة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ولا تمتنا بموت الكفر والخسران.

أنّ الشاعر الجزيري كان في غياهب السّجن وفي غرفة الدّامس، لأنّ سجنه كان تحت الأرض، بناه الأمير المنصور بن أبي عامر، وسماه "السّجن المطبق"³⁸ فأحسّ الجزيري زنازته قبراً الذي يأتي فيه ملكان إلى صاحب القبر، فأنشد بيتاً:

ولكلّ ميتٍ فتية في قبره
يلقي نكيراً عندها مع منكر³⁹

اقتبس الشاعر من هذا الحديث ".... ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له. من ربك؟ فيقول: ربّي الله....."⁴⁰ ويظهر لنا أنّ الجزيري أحسّ الموت في زنازة السّجن فلذا عبّر عن إحساسه وفكّر عن سؤال المنكر والنكير في القبر، وهذا من أمر عجيب أنّه سُجن بعد ذلك مرةً ثانيةً في السّجن، فدخل عليه بعضُ الرّجال من السّودان فخنقوه، فقتل في غياهب السّجن.

وهذا البيت يُعدُّ من شعره الزهدي، لأنّ قلبه ملأت من الحزن الذي أمكن فيها، ومن الألم الذي أنشب أظفاره في أفكاره، ومن فقدان أولاده الذين لهم ضرورة ظله، وهو في حالة الاعتقال، وكان معتقله مكان مهدوم، وعمارته خرابٌ، وأبراجه مسكن الغربان، ويغرد فيه الطيور والحمام، ويهوي فيه الريح الشديد

في الشتاء، ويسمع فيه الشاعر أصوات الحيوانات المفترسة، من الذئب الذائرة، والبُور والأسود الزئيرة، فأحس الموت، يهجم عليه و يغار، و يترع روحه و يرجع في بدنه في كل حين من الأحيان. ففكر الشاعر عن سؤال الملكين اللذين يأتيان في قبر الإنسان، فعبر عن غليان قلبه المؤلم بشعره الذي استشهد معنى إتيان الملكين من الحديث، وهذا الإحساس قد ظهر بعد مدة قليلة في معتقله حينما حُنق في دار السجن الدامس.

7- حفظ اللسان

أنَّ الشاعر السَّجينَ الجزيري كان ينصح أولاده بحفظ اللسان أي من شرِّه و بواده و حفظه عن التَّكلم بما لا يعينهم و يضره مما يوجب الكفر و الفسوق و العصيان، و يحترسه عن الغيبة و الشتم و البهتان، كما يقول:

واحزن لسانك واحترس من لفظه
واحذر بوادِرُ غِيَةِ ثُمَّ احذر⁴¹

اقتبس الشاعر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: قال الراوي قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثُمَّ قال: "هذا".⁴²

يقول الباحث في تحقيق المقام أنَّ الشاعر وعظ أولاده بإحتراس اللسان وهذا واجب عليه أن يُربِّي أبناءهم بتربية إسلامية و بنشأتها، كما قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"⁴³ و يبيِّن لنا أنَّ الشاعر كما كان هو في الحبس و الاعتقال فما نسي أولاده وراء الجدران، أي تربيتهم لِأَنَّهُ كان يعلم أنَّهم يحتاجون لمعرفة القيم الخلقية و الدينية و هي من الحاجات المهمة التي نسعي إلى إشباعها عند أبناءنا حتَّى يكونوا سُعداء عند الله و سلم النَّاس من شرور ألسنتهم، و أن يحفظوا أعمالهم. أنَّ بذاءة اللسان و سُوء الكلام يزعزعان السلوك الإنساني و يُحبطان فاعليته، فينبه الشاعر إلى حقيقة أخلاقية تعمق إحساسنا بضرورة الجام اللسان، و الذي من شأنه أن يجعله عبداً لصاحبه فلا يتلقَّظ من القول إلا أحسنه.

إنَّ الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري أورد في البيت الأوَّل كلمة " احزن" و متابعتها كلمة أخرى " احترس" كلاهما تدلان على الترادف المعنوي، و هو حفظ اللسان عن الغيبة و البهتان، و فحش الكلام و تنابذ السباب و الشتم و لعن البيان، و بعد ذلك كان يؤكد تأكيداً شديداً و يأتي لتأكيد أسلوب التكرار اللفظي، كما نرى بين كلمة " احذر" و " احذر" في شطر الثاني من البيت، و أكد أيضاً تكراره بحرف " ثُمَّ" و هو تنبيه أولاده عن شرِّ اللسان و يستعدهم بحفظه و حرسه. و أمَّا تكرار كلمة " احذر" أيضاً تدل على تحذير أولاده عن الكلام الذي يكون موجب العقاب و العذاب.

8- الاجتناب عن الظلم و الحسد و سوء الظنِّ و الغيبة

أنَّ الشاعر الجزيري أنشد رسالة شعريّة من السّجن إلى أولاده يحثهم فيها على البرِّ والتقوى والبعد عن مواطن الإثم والفساد وعن الظلم والحسد والبغض والعناد، كما يقول:

لا تظلمنَّ أحداً ولا تضمر له حسداً فتحشر في الفريق الأخر
لا تلفين متجسساً ذا غيبة متظنناً يفضي بما لم يخبر⁴⁴

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى بعض الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم، فمنها:

"الظلم ظلّات يوم القيامة"⁴⁵.

"من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيءٍ فليتحلله منه بعد اليوم قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهماً، إن كان له عمل صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"⁴⁶

ذكر الشاعر في الشطر الثاني من البيت الأول "خسران الحسد" ويشير إلى أنه يأكل الحسنات، فجمع الظلم والحسد في بيتٍ واحدٍ، لأنَّ الظلم من الأعمال الكاسبة وينقص الحسنات في حق المظلوم، لأنَّ الظالم في الحقيقة مجزى بوزر ظلمه، وإنَّما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له وتحقيقاً للعدل. وأمَّا الحسد متعلق بأعمال القلوب، يحرق القلب بنعمة غيره، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، ففي الحسد أيضاً نقصان الأعمال الصالحة المقبولة، فلذا جمع الشاعر في بيت واحدٍ. وأنشد البيت الثاني ومنع به الأولاد من التجسس والغيبة وظن السوء الفاسد، واقتبس الشاعر واستمد معنى شعره من الأحاديث ونصح بها أبناءه أن لا يجسسوا ولا يغتبوا ولا يظنوا لأنها من الأعمال الشنيعة القبيحة.

9- اليقين بكل ما سمع

نصح الشاعر أولاده أن من يأتي إليهم بخبرٍ فلا ينبغي لهم أن يعملوا به أو ينشروا بكل ما سمعوا حتّى يتبينوا أنّه صادقٌ أم كان من الكذابين. كما أنشد:

وكفكاف من شرِّ سماعك خبره وكفكاف من خيرٍ قبول المخبر⁴⁷

أنَّ الشاعر قد أخذ المعنى من هذا الحديث "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع"⁴⁸

وفي هذا المعنى ورد الأحاديث الكثيرة منها: "ليس الخبر كالمعاينة"⁴⁹

قد نسج الشاعر شعره من الكلمات المكررة، ونجد فيه التكرار اللفظي بين كلمة "كفكاف" في الشطر الأوّل من البيت، وكلمة "كفكاف" من الشطر الثاني، وهكذا كلمة "الخبر" في الشطر الأوّل و"خبر" و"مخبر" في

الشطر الثاني، و غرض الشاعر من التكرار التأكيد و مطلوبه تنبيه الغافل عن الشر الخبر الذى سمعه من غير تيقن.

أما تكرار الكلمات في الشعر هذا من الأساليب البلاغية استخدمها الشعراء العربية في العصور الماضية و الحديث، أما تكرار كلمة " الخبر" ثلاث مرات في البيت يدل على غرضين، الأول: تأكيد الخبر الذى يلقي الشاعر إلى السامع و القارئ، و الثاني، لغرض التحذير و التنبيه لئلا من يأتي الخبر إليه فممكّن أنه صادق أم كاذب في الكلام، فينبغي لسامع أن لا يعمل بهذا الخبر و الكلام قبل التحقيق. و نجد أيضاً في تكرار كلمة "الخبر" إشارة أخرى و هي تأكيد فكره الذى يجول في خاطره، و معنى البيت يدور حول هذه الكلمة المكررة. فيزيد درجة التحذير و التأكيد و الانتباه لديه في حق أولادهم الصغار، و هذا فكره التربويّ الأبويّ لأولاده.

قال طرفة بن العبد البكري⁵⁰

سُتَبِدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَ يَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ⁵¹

10- الوصية بالعلم و العمل

قد انتقل الشاعر الجزيري في أثناء قصيدته التي أنشدها في غياهب السجّج إلى الوصية و النصيحة بعد ما استشعر عجز أبوته بسبب قيوده التي تثقله و تدلّه حتّى حولته إلى إنسان معذور و مجبور لا يملك إلاّ النصح باللسان، كما يقول:

و اعلم بأن العلم أرفع رتبة ما ليس يبلغ بالجياد الضمّر
و بضمّر الأقالم يبلغ أهلها ما لم يفد عملاً و حسن تصوّر⁵²

يحثّ الشاعر أولاده على طلب العلم و العمل به، و هو كان يظهر عليهم أن العلم بلا عمل يكون بلا فائدة و غير مثمرة، كحمل على جمل، و شجر بلا ثمر.

أنّ الشاعر ينصح له و ينمّه بما قال الرسول صلى الله عليه و سلّم في فضيلة العلم و الوعيد على من لا يعمل بعلمه كما قال " مثل العالم الذى يعلم الناس الخير و ينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس و يحرق نفسه"⁵³

نلاحظ أنّ الشاعر يرغب أولاده في البيت الأول إلى تحصيل العلوم الدينية الإسلامية، كما نعرف من المعنى و المفهوم، و أورد صيغة التفضيل في ثلاث كلمات ليصل إلى مطلوبه ببلاغة شعره، و هي "أرفع" و

"أجل" و "أسنى" وهذه الكلمات وردت في فضيلة العلم و ثمرته، وهذا الأسلوب نجد أكثر في شعره السُّجون.

وكما قلنا أنّ أسلوب التكرار نجد في شعره وهذا يدل على تربيته وتنبيهه لأولاده لكي لا يغفل أحد منهم من نصائحه ووعظه، أنّ كلمة "ضمير" في رأس البيت الثاني صفة لتضمير الأقلام أي بُرايتها، كلمة مكررة في الشطر الثاني، استعمل هذه الكلمة مجازاً لُبْرَاية القلم لِأَنَّ أصل الكلمة وضعت لمعنى تقليل اللحم و نحيف الجسم، أما العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي عند بُراية القلم نحن نُقْصُ منه و نسُنُّ ريشته لطيب الكتابة، كإعداد الفُرس للفُروسيّة.

إنّ الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري بيّن في البيت الأول فضيلة العلم و شرافته و في البيت الثاني يشير إلى المحن و التكاليف التي يواجهها الطالب عند حصوله، و في البيت الأخير رفع الحجاب عن الشيء المفيد و المثمر و هو العمل بعلمه، و استمد معنى شعره و قوي بحديث سيد المرسلين الذي ذكرنا.

المخلص

أنّ الشاعر السّجين عبد الملك بن إدريس الجزيري من الشعراء الذين لهم صلة بالأمر الدينية و فكرهم التربويّة الإسلاميّة كابن حزم و ابن حمديس و أبي إسحاق الإلبيري من الأندلس.

أنشد الجزيري قصيدة طويلة في السّجن مشتملة على مائتين و تسعة عشر بيتاً، فما خرج فيه من إطار إسلامي، كما تنبه الأدب الإسلامي إلى الدور الأخلاقي الذي يجب أن يقوم به الأدب من الشعر و النثر، كما أنّه "يمثل الحياة و يصورها و يعرض على القارئ و السامع صوراً تنعكس و تبدو من مجالات العيش المختلفة و يعرض عرضاً جميلاً و مؤثراً بشقّ جوانبها و أشكالها، فتبدو فيه ملامح الكون و الحياة و أشكالها المتنوعة"⁵⁴.

و يبدو أنّ الشاعر الجزيري قد لفت المناهج التربوية الأخلاقية في شعره السُّجون، و القيم الخلقية التي ينبغي أن يعمل بها الإنسان، و يثبت الفرد الصالح في الشؤون الاجتماعية، فلذا يقول الباحث أنّ شعره السُّجون متعلق بأدب إسلامي.

قد خاطب الشاعر خلف القضبان بأشعاره أولاده خاصةً، و وعظهم بنصائح التي نصح بها النبي صلى الله عليه وسلم عامّة المسلمين و المسلمات لإصلاحهم و فلاحهم في الدارين. و اقتبس من أقواله و أفعاله ليقوي بها معنى شعره و يستدل بها في مدلوله، و يصل بها إلى غايته و مطلوبه و هو الهداية و الرشاد. قد تطرّق الجزيري إلى تربوية في شعره السُّجون و المسؤولية الأخلاقية، و دعا إلى الاهتمام بالأولاد و تربيتهم و رعايتهم، لأنهم يمثلون اللبنة القوية في المجتمع.

وظهر لنا عند البحث أنّ الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري من علماء الأندلس، لئن له صلة قويّة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم، ويدلُّ هذا على عمق علمه وفهمه، وشغفه، وحسن بيانه وبلاغته.

ذكرت الأمثال الكثيرة من شعره الذي أنشده في غياهب السّجن المقتبسة من الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم فظهر لنا أنّ الشاعر استأثر بخيالها وأفكارها ويوضح تأثره بالثقافة الدينيّة، والعمل بسنن سيّد المرسلين.

اتجه الشاعر إلى الشعر التعليمي والتربوي حتّى يدلُّ دلالة قاطعة على أثر المحنة والاعتقال فيه، حيث لم يفكر في السّجن إلا تربيّة أبناءهم، وهو كان لا يستطيع أن يعطيهم إلا الوعظ والنصيحة وإراءة الطريق إلى صراطٍ مستقيمٍ فقوي معنى شعره باقتباسات الأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم.

الهوامش

¹ الفتح بن خاقان. المطمح الأنفس. ط: 1983م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 177

² نفس المصدر: ص/ 177

³ ابن الأبار، محمد بن عبد الله. اغباب الكُتاب. ط: 1961م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 198

⁴ ابن بسام، علي بن بسام. الذخيرة. ط 1: 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 4/ 32

⁵ الندوي، أبو الحسن، علي. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة. ط: 1: 1985م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 20

⁶ عبد الملك بن إدريس. قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسُّنة. ط: 1994م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص

57

⁷ الترمذی، محمد بن عيسى. سنن الترمذی. الرقم الحديث: 2304. ط: 2009م، دار الرسالة العالميّة دمشق، ص 4/ 239 وابن

ماجة، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجة. الرقم الحديث: 2363. ط: 1998م، دار الجيل بيروت، ص 4/ 38

⁸ سنن الترمذی. الرقم الحديث: 2305. ص 4/ 239

⁹ البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. الرقم الحديث: 7053. ط: 1312هـ، مطبعة الكبرى الأميريّة ببولاق، 9/ 47

¹⁰ ابن العربي، هو محمد بن عبد الله، ولد ليلة الخميس في شهر شعبان سنة 468هـ وتوفي في شهر ربيع الثاني سنة 543هـ. كان

من علماء الأندلس، سافر إلى عدّة الأمصار والدول في طلب العلم والحديث، وهو من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة.

كتب شرح الترمذی وسماه "عارضه الأحوذی" وهو حافظ لأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم. (ابن بشكوال، خلف بن عبد

الملك. الصلّة. ط 1: 1989م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 3/ 856)

¹¹ ابن العربي، محمد بن عبد الله. عارضة الأحوذی شرح سنن الترمذی. 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 9/ 9

¹² نفس المصدر. ص 9/ 9

- ¹³ قصيدة عبد الملك بن إدريس الجيزري في الآداب و السُّنَّة. ص 63
- ¹⁴ مسلم بن حجاج صحيح مسلم، الرقم الحديث: 95. ط: 1426 هـ، دار طيبة، الرياض، ص 44 وسنن الترمذي، رقم الحديث: 2038، ص 51/4
- ¹⁵ - الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصِّحاح. ط 4: 1990 م، دار العلم للملايين بيروت، 1/ 411
- ¹⁶ - محمد الأمين بن عبد الله. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم. ط 1: 2009 م، دار طوق النجاة بيروت، ص 2/ 453
- ¹⁷ - قصيدة عبد الملك بن إدريس الجيزري في الآداب و السُّنَّة. ص 58
- ¹⁸ البخاري، رقم الحديث: 7436، ص 9/ 127، صحيح مسلم، رقم الحديث: 633، ص 284، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2727، 4/ 516
- ¹⁹ - سنن الترمذي، رقم الحديث: 2728، ص 4/ 517
- ²⁰ - على بن سلطان محمد القاري، مرقاة المصابيح شرح مشكوة، رقم الحديث: 5655، ط 1: 2001 م، دار الكتب العلمية بيروت، ص 10/ 320
- ²¹ - نفس المصدر. ص 10/ 320
- ²² - سورة القيامة 75: 22- 23
- ²³ - قصيدة عبد الملك بن إدريس الجيزري في الآداب و السُّنَّة. ص 58
- ²⁴ - صحيح البخاري، رقم الحديث: 6581، ص 6/ 178 ، سنن الترمذي، ص 4/ 437
- ²⁵ - مرقاة شرح مشكوة. 10/ 223
- ²⁶ - نفس المصدر. 10/ 223
- ²⁷ - صحيح البخاري، رقم الحديث: 99، ص 1/ 31
- ²⁸ - سنن الترمذي، رقم الحديث: 2609، ص 4/ 436
- ²⁹ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر بيروت، ص 8/ 184
- ³⁰ - إعتاب الكُتَّاب. ص 194
- ³¹ - سورة الأحزاب 33: 38
- ³² - على رضي الله عنه بن أبي طالب. ديوان علي رضي الله عنه. ط 1: 1988 م، ص 53
- ³³ - محمد بن إدريس. ديوان الإمام الشافعي رحمة الله عليه. مكتبة ابن سينا، مصر، ص 47
- ³⁴ - يعي بن حكم الغزال من شعراء السُّجَّاء الأندلسية، كان ينشد الشعر في الزهد والحكمة، وله منزلة رفيعة عند الأمراء. الحميدي، محمد بن فتوح. جذوة المقتبس. ط 1: 2008 م، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 554 (
- ³⁵ - الغزال، يعي بن حكم. ديوان يعي بن الحكم الغزال. ط 1: 1993 م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص 56
- ³⁶ - قصيدة عبد الملك بن إدريس الجيزري في الآداب و السُّنَّة. ص 66
- ³⁷ - سنن الترمذي، رقم الحديث: 2282، ص 4/ 223
- ³⁸ - إعتاب الكُتَّاب. ص 198
- ³⁹ - قصيدة عبد الملك بن إدريس الجيزري في الآداب و السُّنَّة. ص 58

- 40- السجستاني، سليمان بن أشعث. سنن أبي داؤد. الرقم الحديث: 4753. ط 1: 2002م، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع الكويت.
و الخطيب، محمد بن عبد الله. مشكوة المصابيح. الرقم الحديث: 1630
41- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة. ص 62
42- سنن الترمذي. الرقم الحديث: 2574. ص 4/ 412
43- سورة التحريم 66: 6
44- قصيدة عبد الملك بن إدريس الجزيري في الآداب والسنة. ص 64
45- صحيح البخاري. الرقم الحديث: 2447، ص 3/ 129؛ صحيح مسلم. الرقم الحديث: 2579، ص 1199
46- صحيح البخاري. الرقم الحديث: 2449، ص 3/ 130
47- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك. يتيمة الدهر. ط 1: 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت، 2/ 118
48- صحيح مسلم. الرقم الحديث: 5، ص 5
49- أحمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. ط 1: 1995، دار الحديث، القاهرة، 1/ 215
50- طرفة بن العبد البكري، أمّا اسمه الأصلي هو عمرو ولقب "طرفة" هو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس ومرتبته ثاني مرتبة،
ولهذا نُبي بمُعلّته، وقال الشعر صغيراً. وله بعد المعلقة شعر حسنٌ، و قتل و هو ابن ست و عشرين سنة. (البغدادي، عبد
القادر بن عمر. خزنة الأدب. ط 4: 1997م، مكتبة الخانجي قاهرة، ص 2/ 419
51- طرفة بن العبد. ديوان طرفة بن العبد. ط 2: 2000م، المؤسسة العربية بيروت، ص 17
52- يتيمة الدهر، 2/ 118
53- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. الرقم الحديث: 1681، مكتبة ابن تيمية، قاهرة، 2/ 166
54- محمد الرابع الحسيني. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة. ط 1: 1985م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 17